

القسم الثالث

وثيقة : أى الاثنين أقدر...!؟

عرض .. ونقد

أى الاثنين أقدر؟ عيسى أم محمد .. !!؟

لقد استباح واضعو هذه الوثيقة لأنفسهم فى التهجم على رسول الإسلام محمد ابن عبدالله - ﷺ - ما لم يستبحه « واضعو الوثيقتين الأولى والثانية . وإن كانت الوثيقة الثانية « استحالة تحريف الكتاب المقدس » قد خطت خطوات فى هذه « الاستباحة » ولكنها لم تبلغ ما بلغته هذه الوثيقة^(١) .

• مدخل الهجوم :

بدأت هذه الوثيقة بمدخل للهجوم على رسول الإسلام، قدمته بتمهيد أشارت فيه إلى بعض الحقائق التى يؤمن بها المسلمون والمسيحيون على حد تعبيرها . وبعد ذلك التمهيد القصير قال واضعوها^(٢) :

« ولكن إخواننا المسلمون يذهبون إلى أكثر من ذلك، فهم يضيفون أن بعد عيسى جاء محمد، وأنه خاتم الأنبياء، وأعظمهم، وأن دينه هو دين الحق، وأن من يتبعه فسوف ينجو من يوم الحساب، ويجيب المسيحيون ويقولون: لا . لأن عيسى هو خاتم الأنبياء، وأنه أعظمهم وأفضلهم، وبفضله - فقط - تنجو البشرية » . ويردف واضعو الوثيقة فيقولون :

« لهذا يكون الفرق بين وجهتي النظر هو أن المسيحي يؤكد أن عيسى هو خاتم الأنبياء، فى حين أن المسلم يصر على العكس أنه محمد .. فلماذا لا نقارن بين وجهتى النظر ونتقبل أعظمهما شأنًا » ؟ . أ - هـ

كان هذا هو المدخل . ثم بدأت أولى خطوات الهجوم كما يأتى :

• مرحلة الولادة :

قارن واضعو الوثيقة بين مولدى رسول الإسلام ﷺ وعيسى عليه السلام أما مولد عيسى فهو معجزة فائقة أكسبته طهارة وقداسة .

وأما مولد محمد ﷺ فاسمع ما يقوله عنه واضعو وثيقة المقارنة .
« .. أن محمد ولد عن أب اسمه عبدالله، وسيدة اسمها آمنة، ولم يكن هناك شىء عظيم يبشر بولادته . وظل بعد ولادته عدة سنوات . لم تحدث خلالها معجزة،

(١) وضعنا فى المقدمة تعريفًا وافيا بهذه الوثيقة، يحسن بالقارىء أن يعود إليها قبل الأخذ فى القراءة هنا .

(٢) سنبت النص كما هو وارد فيها بما فيه من أخطاء لغوية ونحوية مشيرين إليها بالبنط الثقيل .

حتى بلغ الأربعين عاماً، حيث ادعى نزول الملاك جبريل عليه، وتحديثه معه، ولكن حتى هذه اللحظة لم يكن هناك ما يبشر بأن محمداً سيكون نبياً من العظماء. وصحيح أن بعض الجهلة من المسلمين يروون القصص الخرافية حول ولادة النبي محمد (!) ولكن المسلم الذكي لا يجهل أنه لا يوجد في القرآن مثل هذه الخرافات! وأن هذه الأساطير ألفت فيما بعد!!

ثم يتوجه واضعو الوثيقة إلى المسلمين بهذا النداء :

« فيا أيها المسلمون : أنكم تدعون أن القرآن كلام الله؟! لذلك فعليكم أن تعترفوا بأن ولادة المسيح كانت تمثل حادثاً عظيماً.. أن المسيحيين لا يقبلون القرآن، ولكنهم يتقبلون الإنجيل الذي تنبأ بهذا الحدث؟! »
وحصيلة ما في هذه الخطوة من مزاعم :

- كل من يولد من بشرين فهو ضيع آثم. ومن هؤلاء رسول الإسلام؟!
- ولادة رسول الإسلام لم تصحبها مبشرات ..؟!
- ومحمد رسول الإسلام - ﷺ لم يقم بمعجزات حتى بلغ الأربعين؟!
- رسول الإسلام ادعى أن جبريل نزل عليه وجاءه بوحى من الله ..؟!
- المسلمون أمام هذه المعجزات قسمان : جهلة يروون المعجزات حوله ..؟!
- وأذكىاء يدركون أنها ضرب من التخريف لخلو القرآن منها ..؟!
- المسلمون يدعون أن القرآن كلام الله فعليهم أن يعترفوا بعظمة ولادة عيسى كما جاء فيه ..؟!

● المسيحيون لا يقبلون القرآن وإنما يتقبلون الإنجيل الذي تنبأ بهذا الحدث ..؟! ونواجه - الآن - النقطين الأخيرتين - مطالبتنا بالاعتراف بعظمة ولادة عيسى عليه السلام. ثم نقطة تنبؤ الإنجيل بها. مرجئين بقية النقاط قليلاً فسيعود واضعو الوثيقة إليها - أيضاً - بعد قليل.

● مطالبتنا بالاعتراف بعظمة ولادة عيسى : ؟!

يطالب واضعو الوثيقة المسلمين بأن يعترفوا بعظمة ولادة عيسى وقد بنوا هذه المطالبة على أساس أن المسلمين « يدعون أن القرآن كلام الله..؟! » يدعون هكذا. وما دام هذا القرآن المدعى (؟!) قد أشاد بحادث ولادة عيسى ابن مريم. فعلى المدعين، وهم المسلمون، أن يسلموا بعظمة تلك الولادة بناء على ادعائهم أن القرآن كلام الله؟! ذلك ما يقوله واضعو الوثيقة وهم يحاورون خصومهم ..؟!

وكان أدب الجدل والحوار الموضوعى يقتضى منهم - لو كانوا حقاً موضوعيين فى حوارهم - أن يقولوا « يؤمنون » بدل « يدعون » لأن الإيمان بكون الله هو الذى أنزل القرآن - هو معتقد المسلمين وليس الادعاء كما يقول واضعوا الوثيقة الشيطانية الحاقدة وقصدهم من هذا « الشطط » أو قل : الحقم والسفه . أن يحرجوننا فى حلبة الصراع . وأن يكون جوابنا واحداً من اثنين وعلى كليهما فنحن المدانون .

● إذا قلنا لا نعترف بما تطالبوننا به فقد خرجنا عن تصديق وحى الله إلينا . وهذه كارثة يتمناها واضعو الوثيقة الحاقدة .. ؟

● وإذا قلنا نعترف قالوا فلم المكابرة والتمسك برسول الإسلام وها أنتم توافقوننا فى عقيدتنا .. وهذا إحراج يؤدى بنا إلى كارثة أخرى يتمناها واضعو الوثيقة .. ؟!

ولسنا فى هذه وتلك - يا سادة - فى موقف المجادل الذى يتخير الرد لكى يفحم خصمه . كلا والله . ولكننا قوم مؤمنون بحقيقة نعلنها دائماً ولا نخفيها ولا نخشى عقبي الجهر بها مهما كانت منزلتها عندكم فى حسابات الربح والخسارة أن إيماننا بأن مولد عيسى ابن مريم عبدالله ورسوله كان « معجزة » حقيقة لا يمارى فيها أحد .

ولن يحملنا جهل الجاهلين على التنكر لها مهما يرعوا فى أساليب المكر وحيل الاستفزاز ، ومهما أنساهم حقدهم على رجل « آتاه الله من فضله ، وكان فضل الله عليه عظيماً » مهما أنساهم ذلك الحقد أدب الحوار وموضوعية الحديث .

إننا نؤمن بأن ولادة عيسى ابن مريم كانت معجزة . ولكنها معجزة قد صنعها الله ولم يصنعها هو . وهى دليل على قدرة الله لا على قدرة أحد سوى الله .

إننا نؤمن بجلال هذه المعجزة التى أيد الله بها عبده ومربوبه ومخلوقه عيسى عليه السلام ، كما أيد غيره من الرسل بالمعجزات الباهرات . ومع إيماننا بهذا لا نضع عيسى عليه السلام إلا فى موضعه الذى وضعه فيه خالق الكائنات . عبد من عباد الله حملته سيدة بارة بإذن الله وأمر منه فعاش كما يعيش البشر فى طبيعتهم يأكل ويشرب ويصحو وينام ويشعر ويتألم وإن فضله الله على معاصريه بالوحي والرسالة .. ؟! ومع إيماننا بأن ولادة عيسى عليه السلام كانت معجزة .. فاعلها هو الله نؤمن بأن لله معجزات أخرى أدخل فى باب الاعجاز من المعجزة التى صاحبت ميلاده . فخلق حواء من آدم أدخل فى باب الاعجاز عند العقل من معجزة ميلاد عيسى عليه السلام .

ومعجزة خلق الله آدم أبا البشر أدخل في باب الإعجاز عند العقل من معجزتى
حواء وعيسى وإن كابر مكابرون !؟

وكون عيسى هكذا ولد .. وكونه كان يحيى الموتى بإذن الله، ويبرىء الأكمة
والأبرص بإذن الله: كونه - هكذا - فليس هو بأفضل من جميع الرسل. فضلا عن أن
يكون إياها. فالأفضلية لها معايير أخرى في هذا المجال - كما ستعرفون - بعد قليل -
وما من معجزة أيد الله بها عيسى عليه السلام الا وقد أيد بمثلها أو بما هو أكثر إعجازا
منها رسلا آخرين. وقد ذكرنا من هذا القدر الكافي في غير هذا الموضوع فى الرد على
مقال البابا شنودة المتقدم ذكره.

فلسنا نحن الذين نطالب بالاعتراف، لأننا مؤمنون بالله وملائكته ورسله وكتبه
واليوم الآخر، لا نفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون وعبادون؟
وإيماننا هذا - بكلياته وجزئياته - لا مجاملة فيه لأحد، ولا رهبة من أحد، وإنما
هو إيمان لحسابنا الخاص، لأننا تلقيناه من مصدر صادق أمين منصف، عن صادق
مصدق، لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.

ولو أننا أدركنا هذا السؤال - المطالبة بالاعتراف - على الذين وجهوه لنا. فهل
نحن واجدون لديهم شجاعة أدبية يحميها رصيد صحيح من عقيدة قويمه أم الافلاس
أو الشطط هو الذى سيكون سيد الموقف !؟..

يحكى أن «بعوضة» جلست على طرف غصن من شجرة «جميز» ضخمة
مترامية الأطراف. ثم أرادت أن تطير، وكانت تحسب أن طيرانها سوف يقتلع الشجرة
من جذورها أو يحدث بها على الأقل - تلفا. فقالت تنصح الشجرة قبل أن تطير:

أيتها الشجرة تماسكى جيدا فقد عزمت على الطيران !؟..
وكان رد الشجرة: وعلى أى وريقاتى أنت تجلسين !؟..
وصدق الله العظيم القائل:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ
وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا *

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَكْفَرُوا فَاسْتَكَفَرُوا فَيُعَذِّبُهُم عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ [النساء : ١٧١ - ١٧٣] .

• تنبؤ الإنجيل بولادة عيسى . ١٤٠٠

لا تستغرب - أخى القارىء - من هذا العنوان، ولا تسىء الظن بنا أننا لم نفتره على واضعى وثيقة الحقد . فإن نصهم يقول بالحرف الواحد :
« أن المسيحيين لا يقبلون القرآن، ولكنهم يتقبلون الإنجيل الذى تنبأ بهذا الحدث... ».

وموضع هذا النص هو الحديث عن عظمة ولادة عيسى . بل أن واضعى الوثيقة الحاقدة أشاروا إلى موضع ورودها فى الإنجيل^(١) . فهامهم إذن يقولون أن الإنجيل تنبأ بذلك الحدث . أى ولادة عيسى عليه السلام . ١٤٠٠
وهذا كلام إن أخذته بالطول وجدته غير مستقيم . وإن أخذته بالعرض وجدته غير مستقيم . وأن أخذته بالطول والعرض معا وجدته غير مستقيم .

كيف ... ١٤٠٠

لأن التنبؤ بشيء معناه الإخبار بأمر سيكون قبل أن يكون، ولا معنى للتنبؤ غير هذا فى أية لغة يعرفها الإنسان، لأن تنبأ: تفعل أى تعاطى النبأ قبل أن يكون . وهو قريب من « تصنع » الشيء تكلفه لأن الاصل فى الإخبار أن يكون عما كان . فإن كان عما يكون فهو تنبؤ وليس بإخبار قطعاً .
وعلى هذا فإن « المتنبىء » لابد أن يكون سابقاً فى الوجود على « المنبأ به » ضرورة .

وتطبيق هذا القانون على ما نحن فيه محتاج إلى هذا البيان :
أولاً : ولد عيسى عليه السلام ثم نشأ كما نشأ الأطفال حتى بلغ رشده .
ثانياً : أنزل الله وحيه على عيسى وأرسله رسولا إلى بنى إسرائيل . ووحى الله إلى عيسى هو المسمى « الإنجيل » كما سمي وحى الله السابق عليه على موسى « التوراة » وسمى وحى الله النازل على محمد ﷺ « القرآن » وهو آخر وحى الله .
وبعد هذا البيان نسأل واضعى وثيقة الحقد :

(١) إنجيل لوقا الاصحاح الاول الآيات (٢٨ - ٣٦) من العهد الجديد .

كيف يتنبأ الإنجيل - إذن - بولادة عيسى، وعيسى عليه السلام كان قبل أن يكون الإنجيل؟

أيهما أسبق يا قوم عيسى أم الإنجيل؟! قطعاً لن يكون جوابكم أن الإنجيل أسبق وجوداً من عيسى. مع أن هذا هو شرط التسليم لكم بهذا التنبؤ...؟! فإن قلتُم أن الإنجيل أسبق ليصح لكم هذا التنبؤ. كنتم كمن يقول الأرض «فوق» والسما «تحت» ومصير القائل بهذا معلوم؟! وإن قلتُم - ولابد أنكم قائلون - أن عيسى - عليه السلام - أسبق فإن دعوى تنبؤ الإنجيل بولادته، تظل أكذوبة الأكاذيب؟!!

وما دام عيسى عليه السلام كان أسبق وجوداً من الإنجيل فحديث الإنجيل عن ولادته إنما هو تسجيل لحادث وقع كما تسجل «الوثائق التاريخية» وقائع التاريخ ولا مفر من هذا القول لأنه هو التعبير الحق المصار إليه.

وإذا وصلنا إلى هذه «الدرجة» فإننا نقول لكم:

إن القرآن الحكيم قد سجل حادث ولادة عيسى عليه السلام باعتباره حدثاً عجباً فيه لله معجزة. فهو لم يقصر في هذا الشأن.

فعلى أى وجه إذن التفرقة بين القرآن والإنجيل - هنا - بأنه أحدهما تنبأ بها «الإنجيل» ولذلك فإن المسيحيين يتقبلونه. ولكنهم لا يقبلون القرآن. ليس في هذا ظلم منكم للقرآن وهو لكم منصف أمين؟! • الناحية الفكرية:

وكانت الناحية الفكرية - على حد تعبير الوثيقة - هي الخطوة الثانية في الهجوم على رسول الإسلام. يقول واضعو الوثيقة في وصف رسول الإسلام «نجد أنه بفعل ولادته كسائر البشر ورث محمد من البشر طبيعتهم الآثمة... أما عيسى فكون ولادته معجزة فلا بد وأنه ورث طبيعة طاهرة لا غبار عليها...».

ومن الغريب أن واضعي الوثيقة مع زعمهم بأن رسول الإسلام لم ينزل عليه وحى بل هو ادعى ذلك ادعاء. مع هذا فإنهم عمدوا إلى آيات من القرآن الحكيم حملوها - ظلماً وحقداً - على ذم رسول الإسلام؟! وآيات أخرى منه حملوها - تعصياً وجهلاً - على مدح عيسى عليه السلام باعتباره فوق كل الأنبياء والرسل. وتلك هي المغالاة في الدين التي نصحهم القرآن، بل نهاهم عنها كما تقدم في سورة النساء فلم يسلم رسول السلام باعتباره فوق كل الأنبياء والرسل. وتلك المغالاة في

الدين التي فرقت بين الرسل في هذه الوثيقة بالنقد والتجريح والظعن وقبل ذلك ما تقدم في كتاب «الاستحالة»^(١) وما له عندهم من سبب سوى أنهم مولودون من بشرين آباء وأمهات. أما عيسى فلأنه مولود من أم بلا أب فهو سيد الجميع عند واضعي الوثيقة.

وإذا سلمنا لهم - جدلا - بأن أساس الولادة عن البشر عار يذم من أجله أنبياء الله ورسله. فإن لعيسى عليه السلام - فرضا - نصيب من ذلك الذم - لا محالة - لأنه ولد من أم بشرية. وإذا استحق محمد ﷺ ، أو أى رسول آخر سوى عيسى عليه السلام ١٠٠٪ من الذم لأنه مولود من بشرين. فإن عيسى عليه السلام - إعمالا - لهذا المبدأ الغريب - ٥٠٪ من الذم على الأقل ١٠٠٪!

ومن هذا يبدو لنا واضحا مدى تجنى واضعي الوثيقة على أنبياء الله ورسله - جميعا - إذ يلزم من هذا المقياس ذمهم جميعا بلا استثناء أحد منهم، مع التفاوت - طبعا - بين أنصباة الذم، بين الـ ١٠٠٪ والـ ٥٠٪ على الفرض الذى قدمناه ١٠٠٪! لأن من لم يكن له أب منهم فله بالقطع أم ١٠٠٪!

فهل أدرك واضعو الوثيقة شناعة هذه «المقولة» وما يترتب عليها من الإطاحة برسل الله جميعا ورميهم بالنقص، وهم المصطفون الأخيار.

● وعودة إلى المعجزات :

وتعود الوثيقة إلى المقارنة بين الرسولين محمد بن عبد الله وعيسى ابن مريم صلي الله عليهما وسلم: من حيث المعجزات. ويقولون: أن عيسى عليه السلام قام بالمعجزات فى حين أن محمدا ﷺ عجز عن ذلك ١٠٠٪! ثم يردفون: صحيح أن المسلمين يقولون أنه قسم القمر نصفين، وعدة معجزات أخرى، ولكننا بالتعمق والدراسة نكتشف أن قصص هذه المعجزات كتبت بعد مضى قرون^(٢) من وفاة الرسول محمد ١٠٠٪!

وهنا يفتح القوم بابا على أنفسهم لا يستطيعون إصداه: فليسمعوا إذن ما نقول، وإن كان عندهم من علم فليخرجوه لنا:

يا قوم إننا لن نثير معكم موضوع المعجزات المادية التى وقعت لمحمد ﷺ. وإنما نقول لكم:

(١) انظر (ص ٤) من هذه المواجهة .

(٢) هذا ظعن خفى فى القرآن لحجى هذه الحقائق فيه، فكأنهم يقولون أن القرآن نفسه قد

كتب بعد وفاته عليه السلام بعدة قرون ١٠٠٪!

إن محمداً الذي تدعون أنه لم يقم بمعجزات قط . مع أن عيسى عليه السلام قام
بعدة معجزات :

فأرونا إذن أين هي معجزات عيسى الآن ...؟ صحيح أن من معجزاته - كما
يقول القرآن الأمين- إحياء الموتى . فأين هم الموتى الذين أحياهم عيسى؟! أنهم ماتوا
مرة أخرى!؟..!

وصحيح أنه كان يبرئ الأكمة والأبرص بإذن ربه . فأين هم الذين شفاهم
عيسى عليه السلام من أمراضهم!؟..! لقد ذهبوا - جميعا - إلى الأرض التي منها
خلقوا . وكان الموت هو مرض الأمراض أو جهيزة التي قطعت قول كل خطيب :
وما يقال في معجزات عيسى، يقال في معجزات سائر الأنبياء والرسول . ألم
يلتئم البحر الذي فلقه موسى بعصاه في نفس اليوم الذي انفلق فيه . أو لم تخمد نار
إبراهيم التي جعلها الله عليه بردا وسلاما .. أو لم ينحسر الطوفان الذي غمر الأرض
كلها تصديقا لدعاء نوح .. أو لم .. أو لم .. أو لم!؟..!

ومعجزات محمد عليه السلام التي هي من هذا النوع ومنها انشقاق القمر كما
تقولون، أسدل الستار عنها وكأنها لم تكن . لأن هذه المعجزات جميعا أدت المراد منها
في حينها وعند مشاهديها أو معاصري مشاهديها لأن الخبر بها إذ ذاك بلغ حد التواتر:
ثم أصبحت - بعد - خبرا من الأخبار . يصدق بها من يؤمن بالله صانعها لأنه ثبت له
قدرة لا تعجز . ويتشكك فيها أو ينكرها من خلا قلبه من الإيمان أو ضعف إيمانه في
قلبه . أما استمرارها أو اعادةها فهو في علم الله محظور لأن الله لا يجريها إلا على
يد رسول، وقد انتهى عصر الرسالات!؟..!
ولكن محمداً ﷺ، يتكلم وقد سكنت الرسل . وتبقى له معجزة المعجزات ،
وقد ذهبت كل المعجزات .

إن معجزة محمد ﷺ الباقية الخالدة خلود رسالته وخلود السموات والأرض
هي : القرآن العظيم : المتلوة بكل لسان المحفوظة في الصدور . التي لم ينل من الدهر،
جديدة دائما، ظاهرة دائما يشهد لها بالفضل الأعداء قبل الأصدقاء . والمخالفون قبل
الموافقين . إعجازها يدرك من بنائها وتركيبها، ومعانيها وهدايتها، واتساقها مع الفطر
السليمة وموافقته لمعطيات المعارف والعلوم، وشرحها لمظاهر الكون، وتقريرها
لنواميس الحياة . تغدو وتروح في سمو وشموخ كالشمس أو هي أثبت ظهورا لأن
الشمس تشرق وتغرب وهي مشرقة أبدا لا غروب لها . سامية فوق كل نقد، مهيمنة
فوق كل بيان .

قصت القصص فصدقت . وأرشدت إلى الحق فأصابت، وقررت فأحكمت، وأشارت إلى حقائق العلوم فوافقت . وها هي ذى تتحدى العصور والدهور فلا يزداد الفاقهون لها إلا يقينا، ولا الباحثون فيها إلا ثقة . لغتها لغة كل عصر، وهداها هدى كل حال، تتألق بالحق ويتألق الحق بها: تقنع العقول . وتمتع العواطف . وتغذى الوجدان، وتحفظ للإنسانية رصيدها الضخم من هداية السماء حيث لا أمين عليها غيرها ولا حارس لها سواها .

تلك هي معجزة محمد ﷺ الباقية ما بقى الدهر . فأرونا معجزة لرسول بقت بعد انتهاء دوره على الأرض، صالحة للفحص والدرس «الحضوري» .. أنه لا سبيل إلى ذلك إذا كان الرسول غير محمد . أما أن كان الرسول محمد ﷺ فنقول نعم أننا جاهزون . وتلك هي معجزته الصالحة للفحص والدرس الحضوري فأفحصوها وادرسوها، فإن كان الهدف هو الوصول إلى الحقيقة المحردة . فسترونها – بعد الفحص والدراسة الحضورية – محمدا الرسالة والرسالة ..؟! .

● وشهد شاهد من أهلها :

فإن قلتم أن لنا بازاء القرآن كتابا مقدسا؟ قلنا لكم .. لا .. دعوا أمر هذا الكتاب المقدس فانكم أول من تشكك فيه واتهمه بالزيادة والنقص وروايات الخيال والهوى والتناقض والتنافر ومجافاته للحقائق الإيمانية والعقلية .

وقد بدأ هذا الشك أو التشكك لديكم فى الكتاب المقدس منذ عهد الأب أوغسطين فى عصر ضارب فى القدم، فكان عند مطالعته التوراة يصطدم ببعض المشكلات النصية فيحتمل على تبرير بعضها، ويرجع ما لا حيلة فيه إلى سبب إنساني^(١)، وحين تقدمت المعارف الإنسانية، وكونت الثقافة العقلية مزاجا فكرياً عنيداً لدى بعض المثقفين الإنجيليين واصطدموا بما تقرره بعض نصوص الإنجيل من حقائق تأبأها حقائق العلم الحديث أدرك بعض الآباء خطورة هذه المشكلة، ومنهم الأب روجى – والنقل هنا من كتاب «دراسة» الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة – والأب روجى قد نصب نفسه للرد على قراء الإنجيل . ولكنه حتى مع تلك

(١) ننقل هذه الحقائق من كتاب «الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة» تأليف الأستاذ موريس بوكاي الفرنسى الأصل . (طبعة دار المعارف سنة ١٩٧٧) . مترجمة إلى اللغة العربية .

المحاولات من جانبه ، فإنه يعترف كما يقول الأستاذ موريس بوكاي - أن فى الأناجيل نصوصا مبهمة غير مفهومة بل حتى متناقضة وعشوية أو فاضحة»^(١).

ويقرران معا: الأب روجى وموريس بوكاي. أن القراءة الكاملة لنصوص الأناجيل قادرة على إثارة اضطراب عميق لدى المسيحيين»^(٢).

ويقول الأستاذ موريس، وهو ما يزال على عقيدته النصرانية^(*)، أنه فى دراسته الثانوية فى مدرسة كاثوليكية لم يكن يسمح لهم إلا بقراءة مقاطع مختارة من الأناجيل، وأنه بعد الوقوف على خطورة المشكلات التى تترتب على قراءة النصوص الكاملة للأناجيل، وأدرك السر فى عدم اعطاء مدرسيهم لهم واجبات واسعة من الكتب المقدسة المسيحية. والسر كما يفصح عنه الأستاذ موريس هو أن تلك الكتب كان يمكن أن تقود الطلاب إلى طرح أسئلة على أساتذتهم يكون الرد عليها محرجا^(٣)...!؟

وينقل الأستاذ موريس رأى الأب كانينجر الذى يقول فيه: لم يعد واجبا الأخذ بحرفية الأحداث الواردة فى الأناجيل عن السيد المسيح، فهى كتابات «ظرفية» أو «خصامية»^(٤)!؟

ويقول: ا. كولمان فى كتابه «العهد الجديد» فى نهاية حديث طويل أنهاه بقوله:

« أن تجميع أقوال المسيح وربط الروايات بصيغ أسلوبية غامضة مثل: وبعد هذا، وما أن إلخ. وبالاختصار اطار الأناجيل المتوافقة كل هذا أدبى الطابع وليس له أساس تاريخى»^(٥).

ويوازن الأستاذ موريس بوكاي بين وجهة النظر عند هؤلاء الكتاب: روجى وكولمان، وكانينجر وغيرهم فى الاعتراف بهذا التناقض الذى تحفل به الأناجيل وبين وجهة نظر المجمع المسكونى للفاتيكان الثانى فى دستوره العقائدى عن التنزيل، الذى أعد فيما بين عامى ١٩٦٢ ، ١٩٦٥م وقد جاء فيه:

« أن كنيسةنا الأم المقدسة قالت وتقول بحزم وثبات دائمين أن هذه الأناجيل الأربعة^(٦) التى تؤكد تاريخيتها دون أى تردد. تنقل بشكل أمين فعلا أقوال

(١) نفس المصدر ص ٦٥ .
(٢) نفس الموضوع .
(٣) المصدر نفسه (٦٥) .
(٤) المصدر نفسه ص ٦٨ .
(٥) المصدر نفسه ص (٧٧) .
(٦) متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا .
(*) هذا كان حين صدور الطبعة الأولى من كتابنا هذا عام ١٩٨٠م. ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه .

وأفعال المسيح طيلة حياته بين البشر لخلصهم الأبدى وإلى أن رفع إلى السماء...»^(١).

فالكنيسة - إذن - تختلف جذريا مع أولئك الكتاب ولكن الأستاذ موريس ينتصر لرأى الكتاب فيقول:

«إذا نظر القارىء إلى الأناجيل على أنها تعبير عن وجهات النظر الخاصة بجماعى التراث الشفهى^(٢) المنتمى إلى مختلف الجماعات. وإذا نظر إليها القارىء على أنها كتابات ظرفية أو خصامية^(٣)، فإنه لن يدهش عندما يجد فى الأناجيل كل هذه العيوب التى هى علامة صنع الإنسان فى مثل هذه الظروف»^(٤).

• أمثلة من الواقع :

وكفانا ما تقدم من أقوال فى الوصف العام للأناجيل، مدحا أو قدحا فإن الذين تشككوا أن يكون ما فى الإنجيل «الهايا» أو حقيقة واقعة حملهم على ذلك التشكك وقائع وقفوا عليها فى الأناجيل أنفسهم ونحن نذكر منها ما قالوه هم ولا نضيف شيئا إليه، لأن هدفنا هنا أن نبين آراءهم هم فى كتابهم المقدس.

ويأتى على رأس تلك «المخيرات» مسألة نسب المسيح. ويتنبه الأستاذ موريس إلى حقيقة يشترك فيها كل مطلع على إنجيلى متى ولوقا. ذلك أنهما اهتما ببيان نسب المسيح. فنجد لوقا يبتدىء النسب من آدم حتى يصل به إلى يوسف النجار خطيب مريم.

ومتى يبتدىء النسب من إبراهيم ويصل به إلى يوسف النجار أيضا. وإذا أغمضنا النظر عن الاختلافات الجوهرية فى شجرتى النسب عند متى ولوقا فإن هناك مشكلة صعبة الحل جدا وهى:

أن عيسى عليه السلام ولد من أم «مريم» بدون وساطة لقاح أب فكيف إذن يستساغ أو يقبل أن يلصق نسب السيد المسيح برجل لم يعاشر أمه معاشرة زوجية قط. إنها مشكلة صعبة وحاشى أن يكون المسيح هو مملى هذه الشجرة لأى منهما فيدعى لنفسه أبا ليس هو أباه وليس له بأمه علاقة يكون ثمرتها هذا النسب.

(١) نفس المصدر ص ٧٩ .

(٢) إشارة إلى أن الأناجيل كتبت عن الرواية الشفهية بعد المسيح بزمان .

(٣) معنى الظرفية والخصومية هنا: الأهواء التى كانت تسيطر على مشاعر محررى الأناجيل.

(٤) دراسة الكتب المقدسة : المرجع السابق ص ٧٩ .

ويقول الأستاذ موريس تعليقا على هذا :

« تطرح شجرتا النسب اللتان يحتوى عليهما إنجيلا متى ولوقا مشاكل تتعلق بالمعقولة والصحة .. هي مشاكل تخرج جدا المعلقين المسيحيين فهم يرفضون أن يروا فيها ما هو بجلاء نتاج للخيال الإنساني ... ويادى ذى بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح . ولو كان من الضروري إعطاء المسيح نسبا وهو وحيد أمه وليس له أب بيولوجى . فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط»^(١).

ولا نطيل بالقارىء ونكتفى بالرأى الذى انتهى إليه الأستاذ موريس بوكاى فى نهاية نقده لموضوع نسب المسيح فى إنجيلى متى ولوقا . وإليك عبارته ذات الدلالة العميقة التى أنهى بها نقده .

« لاشك أن نسب المسيح فى الأناجيل موضوع قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانيات جدلية تكافىء الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى»^(٢).

ويستعرض الأستاذ موريس بعد هذا آراء الكتاب المسيحيين فى وجود الخيال والاختلاط والفوضى وعدم المعقولة فى روايات الأناجيل وخاصة فى الظواهر الآتية :

- ١- روايات آلام المسيح .
- ٢- ظهور المسيح بعد قيامته .
- ٣- صعود المسيح .
- ٤- أحاديث المسيح الأخيرة .

وأورد فى خاتمة هذا الفصل قوله :

« .. فخيالات متى » والتناقضات الصارخة بين الأناجيل، والأمور غير المعقولة، وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث، والتحريرات المتوالية للنصوص . كل هذا يجعل الأناجيل تحتوى على اصحاحات فقرات تنبع من الخيال الإنساني وحده . لكن هذه العيوب لا تضع فى موضع الشك وجود رسالة المسيح . فالشكوك تخيم فقط على الكيفية التى جرت بها»^(٣).

وأقول أن ما يقرره الأستاذ موريس هنا يتفق تماما مع عقيدة المسلم الذى لم يقل فى الإنجيل إلا ما يقوله الأستاذ موريس وأمثاله . وبهذا يتضح أن المسلم لم يتهجم على الإنجيل وإنما يضعه فى نفس الموضوع الذى يضعه فيه المعتدلون المنصفون من أبنائه وشيعته .

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة (ص ١٠٥) .

(٢) نفس المصدر ص (١١٦) . (٣) نفس المصدر ص (١٣١) .

فالكاتب المقدس عن هؤلاء أشبه ما يكون بعمل ملحمى روائى . تدور الصورة
المجسمة فيه - رل حادثة وقعت بالفعل، ثم نماها العمل الملحمى الروائى راستولدها
كثيرا من الوقائع والأحداث، بل هى شبيهة عندهم بملحمة رولان قائد جيس شارلمان
الذى كانت مهمته حماية حدوده ضد الشعوب المجاورة . لأن بين الحادثة - كما وقعت
فى الحقيقة، وبينها كما يصورها العمل الروائى بونا شاسعاً . فهى واقعة صحيحة .
وضخامة الرواية التى أخرجتها لا يححو وقوع الحادثة^(١) .

ورسالة عيسى عليه السلام واقعة حقيقة لا يرتاب فيها مؤمن، ولكن كتاب
الأناجيل أضافوا حولها الكثير مما لا تثبت صحته أمام معطيات المعرفة الحديثة والعقل
الفاحص .

● وشهد شاهد من غير أهله :

لقد نقلنا فى إيجاز بالغ - بعض صور النقد الموضوعى الذى أبداه الأستاذ
موريس بوكاى حول وقائع الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، كما نقل ما انتهى
عليه الرأى عند بعض الكتاب المسيحيين الغربيين، وما أثار عن بعض آباء المسيحية
القدامى مثل الأب أوغسطين عرضنا كل ذلك فى إيجاز شديد وأمانة خالصة . بل أننا
قررنا أننا لا نرى فى الكتاب المقدس أكثر مما يراه فيه هؤلاء المعتدلون . والآن فلنعرض
فى إيجاز وأمانة أيضاً شهادة الأستاذ موريس بوكاى للقرآن . وهى شهادة عادلة
ومخلصة ما كنا نطمع فيها من مثله، وإنما يبدو أن الرجل باحث مجرد من كل هوى .
ولهذا فإن شهادته فى الموضوعين اتسمت بالاعتدال الرائع . وإليك البيان :

● صحة النص القرآنى وسموه على كل نقد :

من الأمور المهمة التى طرقها الأستاذ موريس بوكاى فى كتابه العظيم هو ثبات
صحة النص القرآنى سنداً ومعنى . وفى ذلك يقول :

«صحة القرآن التى لا تقبل الجدل تعطى النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل
ولا يشترك مع نص القرآن فى هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد»^(٢) .

- يعنى التوراة والإنجيل - وقد تحدث باستفاضة عن طريق توثيق النص القرآنى
فى مراحل جمعه المختلفة، وكونه كان محفوظاً فى الصدور مكتوباً فى الألواح منذ
لحظة نزوله حتى جمع فى المصحف الشريف .

(١) انظر نفس المصدر ص (١٣١) .

(٢) دراسة الكتب المقدسة : ص (١٥١) .

ويثبت في الصفحات الأولى من كتابه المذكور سلامة النص القرآني من حيث معناه مقارنة بمعطيات العلم الحديث، فيقول بالحرف الواحد:

«لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أى فكر مسبق، وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن، ومعطيات العلم الحديث. وكنت أعرف قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظواهر الطبيعية، ولكن معرفتي كانت وجيزة. وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى^(١) استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوى على آية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث».

ثم يقول مقارنة هذه الحقيقة ذات الدلالة الخاصة بما أسفرت عنه دراسته الكتاب المقدس بعهديه:

«وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأنجيل، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول أى سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً فى عصرنا»^(٢).

وبعد أن يورد على الأنجيل مثلما أورد على التوراة نراه يقول:

«غير أن وجود هذه الأمور المتناقضة، وتلك التى لا يحتملها التصديق، وتلك الأخرى التى لا تتفق والعلم، لا يبدو لى أنها تستطيع أن تضعف الإيمان بالله ولا تقع المسئولية فيها إلا على البشر، ولا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية، وما نصيب الخيال والهوى فى عملية تحريرها، أو ما نصيب التحريف المقصود من قبل كتبة هذه النصوص، أو ما نصيب التعديلات غير الواعية التى أدخلت على الكتب المقدسة»^(٣) وأن ما يصد منا حقا فى أيامنا هذه أن نرى المتخصصين فى دراسة النصوص يتجاهلون ذلك التناقض والتعارض من الحقائق العلمية الثابتة»^(٤).

(١) هذه العبارة تحتل معنيين. أحدهما أن يقصد المؤلف منها القرآن نفسه. والثانى أن يكون المراد منها الاطلاع على القرآن فى لغته العربية وليس عن طريق الترجمة.

(٢) نفس المصدر ص (١٣).

(٣) يقصد: التوراة والأنجيل وملحقاتها.

(٤) نفس المصدر ص (١٤).

● اتفاق المعارف الحديثة مع مقررات القرآن :

وينتقل الأستاذ موريس بوكاي إلى ذكر أمثلة متعددة أستقر عليها الوضع في المعارف الحديثة والمعاصرة، تتفق تماماً مع مقررات القرآن فيها. ونضع أمام القارئ ثبنا مجردا لتلك الأمثلة كما جاءت في الكتاب المذكور، ثم نختار منها واحدا نذكره بالتفصيل منتهين إلى ما أنتهى إليه الطبيب والباحث المجرد الموضوعى من نتائج رائعة. أما الثبت المجرد لتلك الأمثلة فهو على الوجه التالى :

خلق السموات والأرض - علم الفلك فى القرآن - تأملات عامة فى السماء
طبيعة الأجرام السماوية - البنية السماوية - تطور العالم السماوى غزو الفضاء -
الأرض - آيات ذات مرمى عام - دورة الماء والبحر تضاريس الأرض - الجو الأرضى -
عالم النبات وعالم الحيوان - أصل الحياة - المادة بعض المعلومات - التناسل الإنسانى
فى القرآن - القرآن والتربية الجنسية - طوفان نوح - خروج موسى من مصر ...» .
هذه رعوس موضوعات تشير إلى بحوث ممتعة ومقنعة جدا ليس من الميسور
إيجازها هنا.

● معنى «أمشاج» فى القرآن الحكيم :

ذكر الأستاذ موريس بوكاي ضمن الآيات التى تتحدث عن «التناسل الإنسانى»
فى القرآن الحكيم قوله تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

[الإنسان: ٣]

وتحدث وهو طبيب عن معنى كلمة «أمشاج» الواردة فى الآية الحكيمة. وبعد نقله لآراء العلماء الأقدمين فيها، وهى محصورة فى اختلاط ماء الرجل بماء الأنثى، بين ما توصل إليه العلم الحديث فى هذا الشأن. فقال :

«يتشكل السائل المنوى من إفرازات مختلفة تاتى من الغدد التالية :

- (أ) الخصيتان : يحتوى إفراز الغدة التناسلية للذكر على الحيوانات المنوية وهى خلايا مستطيلة مزودة بهذب طويل، وتسبح فى سائل مصلي .
- (ب) الحويصلات المنوية : تخزن هذه الأعضاء الحيوانات المنوية وتقع على مقربة من البروستاتا، وتفرز إفرازاً خاصاً.

(ج) البروستاتا : وتفزر سائلا يعطى للسائل المنوى قوامه الغليظ، ورائحته الخاصة.

(د) الغدد الملحققة بالمسالك البولية، وهي الغدد المعروفة باسم كوبر، أو ميري وتفزر سائلا جاريا، وغدد ليترى وتفزر المخاط. تلك هي أصول هذه «المخاليط» الأمشاج التي يبدو فعلا أن القرآن يتحدث عنها^(١).

ومعنى هذا أن العلم الحديث قد كشف عن المعنى الدقيق الذى أرادته القرآن من كلمة «أمشاج» ولهذا فإن المعنى الذى وقف عنده القدماء وهو خلط ماء الرجل بماء المرأة يصبح متوازنا أمام حقائق العلم الحديث. فالنطفة هي وحدها «أمشاج» سواء خلطت بماء المرأة أو لم تخلط. هذا هو الصحيح لأن الكلمة نفسها جاءت في الآية وصفها لـ «نطفة» وليس وصفا لها بعد مزجها بماء المرأة في الرحم :

• مؤدى هذا التوافق بين العلم ومقررات القرآن :

وقد انتهى الأستاذ موريس بوكاي من هذه الدراسة التي أثبتت التوافق التام بين مقررات القرآن ومكتشفات العلم الحديث إلى ما ينتهى إليه كل باحث موضوعى فى هذا الوحي الأمين. وندع القارئ يسمع بنفسه ما يقوله هذا الباحث المنصف .

« أن القرآن وقد استأنف التنزيلين اللذين سبقاه، لا يخلو فقط من متناقضات الرواية، وهي السمة البارزة فى مختلف صياغات الأناجيل، بل هو يظهر أيضاً - لكل من يشرع فى دراسته بموضوعية وعلى ضوء العلوم - طابعه الخاص، وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة: بل أكثر من ذلك - وكما أثبتنا - يكتشف القارئ فيه مقولات ذات طابع علمى من المستحيل أن إنسانا فى عصر محمد ﷺ قد استطاع أن يؤلفها. وعلى هذا فالمعارف الحديثة تسمح بفهم بعض آيات القرآن التي كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن»^(٢).

ثم يقول فى نفس الموضوع :

« .. لذا فمن المشروع تماما أن ينظر إلى القرآن على أنه تعبير الوحي من الله وأن تعطى له مكانة خاصة جدا حيث أن صحته أمر لا يمكن الشك فيه وحيث أن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة فى عصرنا تبدو وكأنها تتحدى أى تفسير وضعى ».

(١) نفس المصدر ص ٢٢٩ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٨٦ .

هذا قليل من كثير مما يصف به الباحثون الموضوعيون من غير المسلمين القرآن الحكيم .

أنه وحى لاشك فيه ، سام فوق كل نقد، حق لا باطل فيه . فهل يقال بعد ذلك أن محمدا ﷺ منتحل للقرآن، أو يقال أنه لم يأت بمعجزات . وأى معجزة يتطلبها البشر تفوق معجزة القرآن المتعددة الوظائف . المستمرة في عطاياها وهيمنتها فيما توحى به وتقرر . ذلكم هو الحق فليراجع الذين يكفرون بهذه الحقيقة أنفسهم . وليعلموا أن نكرانهم لهذا الحق الأبلج ليس بضائر محمدا ﷺ . ولكن أنفسهم يضررون .

● موت محمد ، وحياة عيسى عليهما السلام :

هذه هى الخطوة الرابعة والأخيرة فى سلم التهجم على رسول الإسلام عند واضعى وثيقة «أى الاثنين أقدر ..! عيسى أم محمد ..!؟» وبالرد عليها نكون قد أنهينا واجبنا فى هذه «المواجهة» للوثائق الثلاث التى تقدم التعريف بها فى المقدمة . وهذه هى صورة الاتهام كما يصورها واضعو الوثيقة فى قولهم . «فقد مات محمد كمثّل بقية البشر، فلقد ولد مثل البشر، ومات مثل البشر.. وبعد موته دفن وفنى جسده (!) مثل أجساد بقية البشر...» .

ثم يستشهد واضعو الوثيقة على استمرار حياة عيسى عليه السلام بالآيات الآتية :

﴿ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قُمْ فَاَنْتَ وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْكَ مِنْ دُونِهِمْ لَنْ نُبْدِيَكَ لِلرَّجَالِ وَنَكْفُرُ بِكَ بِالْبَشَرِ وَرَافِعُكَ اِلَيْنَا لَعَلَّكَ تَكْتُمُ ﴾ [آل عمران : ٥٥] وقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام :

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ اَمُوتُ وَيَوْمَ اُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣٣] وقوله تعالى حكاية عن عيسى أيضا :

﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ اَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة : ١١٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧] . ومن الغريب حقا أن واضعى الوثيقة يعتبرون الموت إحدى صور العقاب الواقع من الله على الآثمين (؟!) .

ودفعا لهذا كله نقول فى إيجاز :

اننا لا نمارى فى موت كل مخلوق بلا استثناء أحد ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ
وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٦-٢٧].

فرسول الله محمد ﷺ مات . أى نعم، مات كما مات من قبل رسل الله . ولكن
موت محمد ﷺ لم يكن عقابا وقع عليه من الله لأنه آثم (!) بل لأن هذه هى سنة الله
فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا .

وعيسى أمات أم هو مازال حيا؟! ونشطر الحديث هنا ثلاث شطرات بحسب
الأديان السماوية الثلاثة المعروفة الآن . اليهودية - المسيحية - الإسلام .

أما بالنسبة لليهودية فإن اليهود لا يعترفون - قط - بـرجل أسمه عيسى أو المسيح
أرسل إليهم من عند الله - لقد خلت كل وثائقهم الدينية من الإشارة إليه كما يعترف
بذلك الفيلسوف اليهودى دلفنسون بل أنه ليقول أن اليهود تعمدوا حذف ما يختص
بعيسى عليه السلام من وثائقهم التاريخية حتى لا يسبب لهم ذكره مضايقات من
اتباعه النصرارى . ولهذا فإن يوسف القائد خلا تاريخه من النص عليه، وقد كتب
تاريخ يوسف القائد عام ٧١م^(١) .

إذن فمسألة حياة المسيح أو موته لا وجود لها فى الديانة اليهودية!؟

وأما النصرانية فاعتقادهم الجازم أن المسيح قتل وصلب بيد اليهود فهو إذن قد
مات مقتولا مصلوبا . فإذا اوزنا بين موت محمد ﷺ ، وبين موت عيسى عليه السلام
- كما يعتقد النصرارى - ثم جاريناهم فى أن الموت عقاب فإن شدة العقاب الواقعة
على عيسى تفوق بأضعاف مضاعفة نوع العقاب الذى وقع على محمد صلى الله
عليهما وسلم فكلاهما مات . وأن كان الموت واحدا فإن الطرق المؤدية إليه مختلفة
فعيسى - على عقيدتهم - مات مصلوبا قتيلا - أما محمد عليهما السلام فقد مات
موتا عادياً .

أن هذا الفرض يلزمهم بلا ريب إعمالا لمقياسهم الذى وضعوه أساسا فى
المفاضلة .

ولن يستطيعوا أن يقولوا أن عيسى لم يصلب ولم يقتل . لأنهم لو قالوا هذا لما
بقي لديهم من النصرانية شىء قط . فما النصرانية إلا صلب وقتل!؟

(١) أنظر قصص الأنبياء للأستاذ النجار .

وإذ كان الواقع - لديهم - هو ذلك فعلام - إذن - يتخذون من محمد رسول الإسلام - ﷺ - منفذا للطعن فيه - أسلب القوم عقولهم؟!!

أم توهموا أن عقولنا هي المسلوبة؟!..!

وأما الإسلام فإن الأمر فيه مختلف عن اليهودية والنصرانية معا فعيسى عليه السلام حدث له أمران : توفية ورفع، ولكن أيهما أسبق هنا يأتي الخلاف :

فراى يقول - وهو الأصوب والذي تؤيده النصوص - أن الله توفاه ثم رفعه .

ورأى يقول : أن الله رفعه . وهل توفاه فور الرفع، أم هو مازال حيا لم يموت .

وسوف يموت قبل البعث . رأيان في هذا الشأن .

والذي تبصره النصوص هو أن الله توفى عيسى ثم رفعه . لقول تعالى : ﴿ مَتَوَفِّيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ ﴾ .

والواو وأن كانت مجرد العطف فاحتمال الترتيب فيها بين متعاطفيتها إحدى

دلالاتها : ويقوى إرادة الترتيب هنا قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام، « كنت

عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم » ولو كان الرفع

هو الذى حدث بلا وفاة لما صح قوله : « فلما توفيتني » بل لقال : « فلما رفعتني » وهذا

لم يحدث فدل على أن الموت كان هو الأسبق من الرفع^(١) .

أما مسألة ادعاء النصارى - كما يعبر عنها واضعو الوثيقة بأن المسيح قام بعد

ثلاثة أيام من قتله وصلبه . فهذا مدفوع بإحدى الآيات التى أرتضوها شاهدا لهم على

ما يقولون وهى « السلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .

وما دام واضعو الوثيقة قد ارتضوا هذه الآية شاهدا فليسمعوا دلالتها إذ هى

تهدم كل ما بنوه من أصل عقيدتهم : وهى :

أن المسيح قتل وصلب فداء للبشرية، ثم قام من قبره فجر الأحد وهو اليوم

الثالث لقتله وصلبه . ومن هذا أخذ النصارى شارة الصليب، وعيد القيامة المجيد .

ونحن نقول لهم إن هذه الآية تنفى أن يكون المسيح قد قام من قبره على

التسليم لكم بأنه قد قتل وصلب، لأنها تفيد أن للمسيح يوم ميلاد واحد ويوم موت

واحد، ويوم بعث واحد، فليس له ميلادان ولا موتان ولا بعثان . وتأملوا معنا جيدا .

يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا^(٢) .

(١) أطمع أن يكون هذا الفهم توجيها جديدا لهذه المسألة إذ لم أره لأحد !

(٢) وأطمع أن يكون هذا من الجديد فى الحوار - كذلك - إذ لم ينبه عليه أحد .

أما الآية الأخرى التى استشهدوا بها وهى قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ ﴾
فما داموا هم قد ارتضوها شاهداً - كذلك - فليسمعوا دلالاتها: وهى : لا صلب
ولا قتل وقع على عيسى عليه السلام، بل نجاه الله من ذلك كله، ورفع عيسى فوق
مكرهم وكيدهم .

وهاتان الآيتان، هذه والتى تقدمتها دلالتها هكذا :

« لا قتل ولا صلب، ولا ميلادان، ولا موتان ولا بعثان » فإذا رفضتم هذه

« المعطيات » فما لنا معكم إلا هذا القول :

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل !؟

* * *

علامات استفهام...؟؟؟

بدت لنا، ونحن نمارس حقنا في مواجهة هذه الوثائق الثلاث. علامات استفهام من الأخرى إبرازها استكمالاً لصور المواجهة نفسها وبعض هذه العلامات سنجيب عليه بأمانة، أما البعض الآخر فسنتكفى بمجرد تصوره، لأننا لا نملك الإجابة عليه، أو نملكها، ولكن بقاءه - هكذا - استفهاماً - بلا جواب - هو الجواب نفسه...!؟
وأولى علامات الاستفهام هذه، هي :

● كيف بدأت هذه الوثائق؟ وكيف انتهت...!؟

الجواب :

● كان قصارى جهد الوثيقة الأولى أن تبرز أهم العقائد التي يخالف الإسلام فيها النصرانية، ثم تقييم الدليل على صحتها بآيات من القرآن نفسه كعقيدة سلامة الكتاب المقدس من التحريف، وعقيدة التثليث، وألوهية عيسى عبدالله ورسوله. وقد مارست الوثيقة نوعاً خفياً من التعريض برسول الإسلام، وبعض العقائد الإسلامية التي ذهب إلى التذليل على صحتها!؟

● ثم بدأت الوثيقة الثانية - كتاب الاستحالة - بنفس القضايا التي أثارها البابا في مقاله. ولكنها عمقت ووسعت دوائر الحديث عنها. ثم أضافت إليها قضايا أخرى لم ترد في المقال. وأكثر من سوق النصوص الإسلامية قرآناً في الأغلب، وأحاديث شريفة، وأقوالاً لمفكرين إسلاميين، وخاصة المفسرين، ثم عمدت إلى بعض صور العقائد والعبادات والمعاملات الإسلامية وادعت أنها تقوم على أساس «التثليث» النصراني وقد سبقت مواجهتنا لهذه الادعاءات كلها في مظانها.

وأبرز ما في هذه الوثيقة التعريض برسول الإسلام، وبعض خصائص الإسلام نفسه. وقد تكفلت بتجسيم شأن هذا التعريض الجداول التي عقدها مخرجو كتاب الاستحالة للمقارنة بين موسى ومحمد، من جهة، وعيسى ومحمد من جهة أخرى. عليهم صلوات الله وسلامه جميعاً، ثم المقارنة بين عقائد وتشريعات الأناجيل، وبين خصائص الإسلام وتشريعاته. والمقارنة بين مواضع في التوراة وأخرى من القرآن الحكيم مدعين أن القرآن اقتبس تلك المواضع من التوراة، ومواضع من الأناجيل وأخرى من القرآن بين القرآن والتوراة، أو القرآن والأناجيل!؟

على أن وجه التعريض - هنا - قد كان سافراً إلى أبعد الحدود، ولكنه مغلف بغشاء رقيق من الحيلة والتداكى.

وإذا كانت الوثيقة الأولى قد سبقت في الترتيب الزمني . اوثيقة الثانية فإن الوثيقة الثانية قد سبقت الوثيقة الثالثة في الترتيب الزمني أيضا .

● وأبرز ما في الوثيقة الثالثة هو التعريض برسول الإسلام . وهو تعريض وقح بلغ من السفاهة حدا ملحوظا . وقد أشرنا إلى أسس المقارنة الأربعة التي ابتكرتها هذه الوثيقة وأدارت الأمر عليها . وهذه المقارنات جميعا سواء ما ورد منها في كتاب الاستحالة ، أو وثيقة أى الاثنين أقدر؟! فإن رسول الإسلام فيها هو « الخاسر » إذا كانت المقارنة بينه وبين موسى أو عيسى عليهم السلام . والقرآن هو « المدان » إذا كانت المقارنة بين القرآن والتوراة ، أو القرآن والأنجيل ؟!

وبناء على هذا - وغيره - فإن الوثائق الثلاث تبنت فكرة التعريض بالإسلام ورسوله . هادئة في الأولى - صاخبة في الثانية ، وقحة بذئمة في الثالثة . وهذا يسلمنا إلى علامة الاستفهام الثانية . وهى :

● ما أوجه التشابه - بعد - بين هذه الوثائق الثلاث ؟!

والجواب :

أن أوجه التشابه بين هذه الوثائق الثلاث وثيقة العرى . وأبرزها أنها تحاول نصره « شىء » على حساب « شىء » آخر . وأنها فى سبيل الوصول إلى هذه « النصره » عدت على « سلاح » من أرادت خذلانه واستعملته لنصره من أرادت نصرته . فما من وثيقة منها إلا وعدت على نصوص القرآن الحكيم . فأخذت منها ما توهمت أنه « ناصرها » وتركت منها ما اعتقدت أنه « خاذلها » بل أن فيها - جميعا - نصوصا وردت بعينها لم تخل منه وثيقة منها .

وهى حين عدت على تلك النصوص حرفت معانيها لتخضع لمرادها فى غير حياء أو ضبط . على أن الخط الفكرى هو الرابط لأطوار هذه الوثائق جميعا وأن اختلفت الأساليب الجزئية من وثيقة إلى أخرى مع ملاحظة أن الوثائق كلها ، يخيل إليك^(١) أن واضعها واحد ظهر فى أدوار مختلفة حسب خطة « المخرج » إذ أن الصراع فى الوثيقة الثالثة قد بلغ حد « الالتهاب » وقد ساعد عليه أنها لم توقع من أحد معين . فهى « قذيفة » أطلقها مجهول متوار فى الظلام ، ولهذا فإنه استباح لنفسه ما لم تستبحه الوثيقتان الأولى والثانية لأن مصدريهما معلومان ؟!

(١) ونأمل أن يظل الأمر فى دائرة الخيال .

● أما علامة الاستفهام الثالثة والأخيرة هي :

ولماذا الإسلام والمسلمون ؟

نعم . لماذا الإسلام والمسلمون؟ هل هم أشر من فى الأرض؟ لكى يعلن ضدهم الجهاد المقدس، أو هل هم ظلّموا أحدا فهو يثار لنفسه ليقترض لها منهم قصاصا عادلا...؟!؟

أما كان أولى بهذه الجهود أن توجه لمحاربة الاحاد والفساد المستشرى فى الأرض؟! أما كان أولى بها أن توجه لمحاربة الفقر، والمرض، والجهل وهى ميادين فسيحة لكل جهد مبذول، وعمل مشكور؟! أكل من على الأرض صالح إلا المسلمون فهم المفسدون؟! أكل النظم عادلة مستقيمة إلا الإسلام فهو المعوج؟!؟

لماذا هذا كله ضد الإسلام والمسلمين ، وهم يعترفون لغيرهم بأنهم أهل كتاب لهم حقوق لا تمس : وحرية اعتقاد وعبادة لا تصادر . أجزاء الإسلام على اعترافه هو التنكر له، وعلى عدله هو الظلم له، وعلى تسامحه هو التعصب ضده...؟!؟

إن كان لابد للنصرانية أن تنمى أعداد متبعتها فهناك دول يبلغ سكانها الملايين كانوا نصارى فالحدوا . فعلى جهود المبشرين أن توجه إليهم لتعبيد منهم من إلحادهم إلى دين آبائهم، وهو هدف - لو تحقق - فالكسب فيه مشروع .

وهناك بقاع فى الأرض فيها من خلق الله الكثيرون، يعيشون هملا بلا عقيدة صحيحة فليولوا وجوههم شطرها، ويحولوا ميدان التنافس إليها . ولو أنهم فعلوا لما لامهم أحد .؟!؟

إن الذى لا نفهمه، ولا نقبله أن نسلب حقا نحن نقر « خصومنا » على مثله . ولا نرى لهم علينا إلا المعاملة بالحسنى، مادامنا على وجه الأرض أحياء . تاركين سلطة الفصل فيما نختلف فيه لله وحده . فهو وحده المختص به : ويوم يفصل ، تجف الأقلام، وتطوى الصحف، ويقضى بينهم بالحق . ويقال الحمد لله رب العالمين .

* * *